دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	صحافة الطرق الصوفية : جريدة البلاغ الجزائري نموذجاً
المصدر:	مجلة ليكسوس
الناشر:	محمد أبيهي
المؤلف الرئيسي:	الريس، المصطفى
المجلد/العدد:	ع12
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2017
الشهر:	أبريل
الصفحات:	147 - 170
رقم MD:	885492
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الطرق الصوفية، الإعلام الإسلامي، الصحافة، جريدة البلاغ الجزائري
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/885492

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

صحافة الطرق الصوفية: جريدة " البلاغ الجزائري " نموذجا

المصطفى الريس
باحث في التاريخ الديني

تلف أنواعها إلى لائحة المصادر التاريخية الأخرى التي يستقي منها الباحثون معلوماتهم وفرضياتهم النظرية ومعرفتهم التاريخية، لاسيما وأن الصحافة في الفترة المعاصرة تجاوزت وظيفة الإخبار والتثقيف والترفيه وتوجيه الرأي العام إلى وظيفة التوثيق، من خلال الإحاطة بكل التفاصيل والتجليات وتسجيل الوقائع اليومية ،ورصد أهم المعطيات و مواكبة التطورات ومعاينة الأحداث وتوثيق مضامينها .

تجدر الإشارة ، أن هدف دراستنا لا يتوقف عند فهم ماهية التصوف ومدى تجدر الزوايا والطرق الصوفية في المجتمع الجزائري، إنما هدفنا هو الوقوف عند قضية حضور الزوايا والطرقية من خلال رصد قنواتها التواصلية التي كانت تربطها بباقي المؤسسات والمكونات الاجتماعية والتيارات الفكرية الأخرى ، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار الأدوار التي أنيطت بشيوخ الزوايا والطرقية من لدن إدارة الاحتلال للقيام بها، إبان الفترة الاستعمارية ،وهي أدوار استدعت إعادة هيكلة الزوايا والطرق الصوفية ،وتجديد منظومتها الفكرية والتنظيمية وتسهيل التواصل بين مكوناتها ومشاربها وضمان وحدتها.

الجدير بالذكر، أن شيخ الطريقة العليوية قد أبدى مواقف مساندة وداعمة للوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر ، والمرجح أن تكون إدارة الاحتلال وراء الدفع بأحمد بن عليوة إلى تأسيس صحف

ناطقة بلسان حال الطريقة العليوية تروج أفكارها وتبرر مواقف شيوخها إزاء الوقائع والأشخاص وتنافح عنها أمام خصومها ،و تكبح جماح الحركة السلفية الإصلاحية التي قادها عبد الحميد بن باديس ، والتي بدأت تتجذر في عمق المجتمع الجزائري.

ارتبط تاريخ الطرق الصوفية ارتباطا وثيقا بالتاريخ السياسي والاجتماعي للبلدان المغاربية ، حيث شكلت الزوايا قوة سياسية ضاغطة ، استطاعت أن تفرض نفسها على الأنظمة الحاكمة وتنافسها في الكثير من رموز مشروعيتها السياسية والدينية ، تدعمها في ذلك قاعدة شعبية عريضة وتنظيمات متأصلة داخل المجتمع ، و استفادت، أيضا، من امتياز رمزي مستوحى من فكرة الانتماء الشريفي. كما كانت الزوايا في مطلع القرن العشرين القوة الوحيدة والكفيلة بالتصدي للتغلغل الإمبريالي الذي شهدته المنطقة المغاربية منذ مطلع القرن التاسع عشر ، وذلك باستنفار السكان وإعلان الجهاد . الأمر الذي تفطن إليه منظرو السياسة الاستعمارية ، فقاموا بإنجاز أبحاث ومونوغرافيات كشفت جوانب مهمة عن الواقع الطرقي، الأمر الذي مكنها من الإحاطة بخصوصياتها و السعي إلى تحجيم نفوذ ها وتدجين شيوخها وكسب ودهم وحيادهم، كخطوة أولى، ثم تقويض أساساتها ونسف أركانها، كخطوة ثانية.

لقد فرضت مستجدات ومتطلبات واقع الاستعمار على الطرق الصوفية ، سواء تعلق الأمر بالطرق التي اصطفت ضمن القوى الممانعة والرافضة للاحتلال والمؤمنة بخيار المقاومة ، أو تلك التي راهنت على خيار المهادنة ،على أساس أن الاحتلال قدر وابتلاء، هكذا كان من المفروض على الواقع الطرقي إعادة النظر في هياكله التنظيمية وتجديد منظومته الفكرية وتسهيل التواصل بين مكوناته ومشاربه . ذلك أن أنماط التواصل التي اعتمدها شيوخ الطرق الصوفية في الإخبار والتواصل بين الزاوية الأم وباقي فروعها من قبيل رسائل الشيوخ إلى مريديهم والسياحة الصوفية التي كان ينظمها شيوخ الزوايا عبر العديد من المناطق للتواصل مع مريديهم، أو إبان انعقاد المواسم ، أضحت متجاوزة في إثبات حضور الزوايا والطرق الصوفية بالنظر إلى المستجدات التي شهدها حقل التواصل أواخر القرن التاسع ومطلع القرن العشرين ،خاصة مع ظهور الصحافة المكتوبة التي شكلت إحدى آليات التغلغل الإمبريالي.

في هذا السياق ، لابد من التأكيد على أن الطريقة العلاوية ذات المشرب الدرقاوي الشادلي المنسوبة إلى الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة أسسها سنة 1914 في مدينة مستغانم بالجزائر، وإن ظلت وفية لركائز التصوف كما وضعها المتصوفة الأوائل من قبيل الذكر والخلوة والمجاهدات والاهتمام بالأوراد، فإن المعروف عنها أنها طريقة عصرية في أساليبها التنظيمية ويعود الفضل

في عصرنتها إلى شيخها المؤسس الذي وظف وسائل حديثة لبث أفكاره وتعاليم دعوته[281]،ومن القرائن الدالة على ذلك ، حرص الطريقة العلاوية على إصدار صحف ومجلات ناطقة باسمها ولسان حالها ، ونخص بالذكر جريدة "لسان الدين [282]، وصحيفة" البلاغ الجزائري" ، ومجلة "المرشد"[283].

في ضوء ما سبق، ارتأينا التطرق في هذا العمل المتواضع إلى جريدة " البلاغ الجزائري " لاعتبارات عدة أبرزها:

أ ـ تصنيف البلاغ ضمن سياق مشروع إصلاحي تبنته الطريقة العلاوية .

ب ـ اعتبارها مناسبة لتوقف الباحثين عند صحف الطرق الصوفية قصد مساءلتها شكلا ومضمونا وتوجها.

1 ـ البلاغ الجزائري مخاض الولادة وملابسات التأسيس

تعتبر جريدة " البلاغ الجزائري" ثاني صحيفة تصدرها الطريقة العلاوية ، بعد جريدة " لسان الدين " التي توقفت عن الصدور في العدد 12 لأسباب يطول شرحها [284]. وجاء العدد الأول من "البلاغ الجزائري" بتاريخ 26 دجنبر 1926، باعتبارها جريدة أسبوعية كانت تصدر كل يوم جمعة في أربع صفحات ،و أحيانا أكثر في حجم 56X38 ، وبلغ عدد النسخ التي يتم سحبها 1500 نسخة في

---

(281) ـ رزقي بن عومر : خطاب الهوية عند الشيخ عدة بن تونس من خلال مجلة "المرشد" العلاوية ، مجلة إنسانيات ، العدد 50، 2010،ص 8.

(282) ـ جريدة أسبوعية دينية ، صدر العدد الأول منها بتاريخ ثاني يناير من سنة 1923 ، وأشرف على إدارتها أحمد بن عليوة، بينما أسندت رئاسة تحريرها إلى حسن بن عبد العزيز، وصدر منها اثنا عشر عددا ، مزيدا من التفاصيل، راجع زاهر إحدادن : بيبلوغرافيا الصحافة الجزائرية ، الصحافة الجزائرية الإسلامية من بدايتها إلى سنة 1930،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986، ص 37.

(283) ـ أسسها الشيخ عدة بن تونس سنة 1946 بمدينة مستغانم مقر الزاوية العلاوية ومطبعتها ،و كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية، وبلغ عدد النسخ التي يتم سحبها 2000 نسخة شهريا ،تناولت المجلة، في محاورها المواضيع التالية، قضية المساجد في الجزائر ومسألة تحييدها من هيمنة المستعمر الفرنسي أو تلاعب المغرضين، قضية الحياء ولباس المرأة والزواج والسفور، مشكلة فلسطين والدفاع عنها، الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة الإسلامية، تخلف المسلمين وسبيل النهوض بهم، مواجهة الإيديولوجيات المنحرفة عن خط الدين كالشيوعية والوهابية والتوجهات الإلحادية، الدعوة إلى الأخلاق الإسلامية، التنويه بالمناسبات الدينية، كما طرقت المجلة التصوف الإسلامي وذلك بشرح مبادئه ونقاوته مما ينعت من قبل خصومه، ولا نغفل نقدها للإصلاحيين ، راجع أيت علجة محمد الصالح: صحف التصوف الجزائري من سنة 1920 إلى 1955 ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2001، ص 131- 147، أنظر كذلك رزقي بن عومر : خطاب الهوية عند الشيخ عدة بن تونس من خلال مجلة "المرشد" العلاوية ، مرجع سابق ، ص 14.

(284) ـ محمد الصالح أيت علجة: صحف التصوف الجزائري من سنة 1920 إلى 1955، مرجع سابق ، ص 51 - 63.

الأسبوع أي بمعدل 6000 نسخة في الشهر[285] ، محتلة بذلك المرتبة الثانية في الانتشار والتوزيع والمقروئية بعد" جريدة النجاح " التي كانت موالية للسلطات الاستعمارية الفرنسية ، وكان دورها شبيه بالدور الذي لعبته جريدة " السعادة" في المغرب الأقصى، كما تفوقت "البلاغ الجزائري" على مجلة " الشهاب " لسان حال التيار السلفي الجزائري التي كان عدد نسخها لا يتعدى500 نسخة أسبوعيا[286].

والراجح أن الطريقة العلاوية ، قد استوحت اسم الجريدة من مضامين الآيات القرآنية التالية: (وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) (آل عمران، الآية 20)، (فإنما عليك البلاغ) (الرعد، الآية 40)، (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) (العنكبوت: الآية 18)، إلى آخر هذه الآيات الكثيرة التي تحصر مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في إبلاغ الناس شريعة الله وحمل البشارة إليهم، إن هم استقاموا على الطريقة . ومن ثم فإن عملية الإبلاغ التي غالبا ما تقرن بمهمة الأنبياء ليست من السهولة بالقدر الذي يتراءى لبعض الناس، خاصة في هذا الوقت الذي تأسست فيه الطريقة العلاوية و أصبح فيه الإعلام أقوى وسائل الإخبار والتبليغ. ولم تتقيد جريدة "البلاغ الجزائري" بشعار معين ، بل تعددت شعاراتها بتعدد توجهات ومواقف القائمين على إدارة تحريرها[287] ، فتعاقب على تسييرها كل من محمد بن محي الدين حدوني؛ و الشيخ عدة بن تونس الذي ورث مشيخة الطريقة بعد وفاة الشيخ المؤسس ، ثم الاخضر عمروش . ولم ترتبط الصحيفة بمقر تابت فقد كان مقرها الأول في الجزائر

---

(285) ـ أحمد التوفيق المدني : كتاب الجزائر ، مرجع سابق ، ص 283.

(286) ــ أحمد التوفيق المدني : كتاب الجزائر ، مرجع سابق ، ص 283.

(287) ــ جعلت صحيفة البلاغ الجزائري عدة شعارات بغية تحديد غايتها و أهدافها للقراء ، ومن تلك الشعارات الآية الكريمة : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون" وبيتين شعريين من نظم لشيخ محمد المهدي

يا من تحب المعالي لست تدركها ما لم تكن لسبيل العلم متبعا

فالدين أن تتبع حقا أوامره تلقى النجاح لذى الاذهان متسعا

(8) ــ يفسر الشيخ عدة بن تونس سبب انتقال مقر جريدة "البلاغ الجزائري" من مستغانم الى العاصمة :" أما الداعي لهذه الانتقال فإنه لا يخفى وأن الجريدة تعمل تحت إشراف حزب من رجال الجزائر المؤمنين العاملين جهد المستطاع في حماية الدين و تنشيط أبناء المسلمين للتدبر في مبادئه و التعلق بها تعلق الصبي بثدي أمه، وهم وحدهم أيدهم الله بروح منه اقتضى نظرهم انتقال الجريدة لعاصمة الجزائر لأن ذلك من الترقية لصحيفتهم ما " .و حيث كان الغرض من ذلك هو توطيد مركز الجريدة و ترقيها في الوسط أمره لا يحتاج الى دليل، و هذا زيادة على رغبة رجال الإدارة المحترمين البلاغ الجزائري ، العدد 154، 21 فبراير 1930.

العاصمة ثم تحول إلى مستغانم ليعود ثالثة إلى العاصمة . وذلك بحسب رغبة المشرف المباشر على تسيرها الذي لم يستقر على مسير كما أشرنا سابقا [288].

تعتبر الافتتاحية مقال صادر عن إدارة الجريدة تتناسب واتجاهها العام ، وتعكس التمثلات التي يكونها المنتج عن الصحيفة وانتظارات جماهير القراء، وكذا مواصفات المنتوج الصحفي والقيود المالية والاقتصادية والتنظيمية والإدارية التي يواجهها في عمله الميداني [289].

إن الافتتاحية، بهذا المعنى، تمثل المرآة العاكسة للخط التحريري للصحيفة والوظائف المسندة إليها والأغراض المحددة ضمن سلم أولويات التبليغ والإخبار. وفي هذا السياق قدمت "البلاغ الجزائري"، نفسها، في عددها الأول: كونها صحيفة جاهدة عاملة في خدمة الدين والوطن غايتها بذل الجهود في إيضاح المقاصد الدينية، والفوائد الشرعية زيادة على ما ستطرقه من ... الأبحاث الهامة، والنصائح العامة، معتمدة على الله في تحقيق الإنتاج، وتقويم الاعوجاج[290] . كما قدمت نفسها كصحيفة وسطية: " ترفض الطعن في أي طبقة من طبقات الأمة وفي أي مذهب من مذاهبها، ما دام لا أحد يمكنه نيل إجماع الأمة، فيكون محل ثقتها ومرجعيتها الوحيدة، والكل في دعواه ومذهبه يدعي الاستناد إلى القرآن والسنة وإجماع الأمة، وعليه فلم يبق إلا أن نحسن الظن ببعضنا بعضا مراعاة لمصالح الأمة"[291]. فمن" صلاح الأمة وإصلاحها أن لا يتساهل في تنقيص سلفها ولا يمس بسوء أي مذهب من مذاهبها ما دام الجميع متحدا على كلمة الإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وإن اختلفوا فيما عدا ذلك من الفروع "[292].

وكانت جريدة " البلاغ الجزائري " تهتم بالجانب الديني ، حيث إن أغلب موادها ومقالاتها كانت موجهة للدفاع عن الدين الإسلامي ، وكان من الأغراض المحددة ضمن سلم أولوياتها اعتبار أن الإسلام ليس" عقيدة ومجموعة من الشرائع والتعاليم فحسب ، وإنما هو أساسا مرجع تراث أدبي وثقافي

---

(289) ـ حسن مصطفى : الاتصال والمجتمع : الخطاب الافتتاحي ووظائف المكتوب الصحفي الصادر باللسان العربي في تونس (1888-1956) ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 1999، ص 12.

(290) ـ جريدة البلاغ الجزائري ، العدد الأول ، 26 دجنبر 1926.

(291) ـ جريدة البلاغ الجزائري ، العدد 9 ، 06 ماي 1927.

(292) ـ جريدة البلاغ الجزائري ، العدد نفسه .

يتحتم الحفاظ عليه وإثراؤه " [293]، واعتبار الدين " بمثابة الجامعة التي تنعدم ضمنها أشكال التمييز أو التفرقة " "[294].

يتضح ذلك جليا خلال الفترة التاريخية الممتدة ما بين (1881 - 1919)، وهي الفترة ذاتها التي تفاعل معها الشيخ المؤسس للطريقة العلاوية إبان زيارته للأستانة في عهد السلطان عبد الحميد العثماني الذي قرب إليه رجالا لدعم مشروع الجامعة الإسلامية .واهتمت صحيفة " البلاغ الجزائري " بشؤون الجزائر السياسية و الوطنية والاجتماعية ، وكان لها آراء صريحة لتأييد الجامعة الإسلامية واليقظة الوطنية وقد وقفت ضد الاندماج وأنصاره وضد التجنيس ودافعت بشدة عن اللغة العربية، يضاف إلى ذلك مقاومة التنصير في الجزائر و خارجها ، كما نددت "البلاغ" بقضية الاختلاط و البغاء، وكشف خطط المبشرين وخطورتهم على الإسلام والشباب الجزائري ، وشنت هجوما ضد الإلحاد منددة بمواقف المفكر المصري سلامة موسى وحركة الكماليين الأتراك [295]، مما حدا ببعض الباحثين إلى وصف برنامجها بأنه إسلامي وطني[296].

لعل من أبرز القوانين المجحفة التي وظفتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في كل من الجزائر وتونس والمغرب ، والإجراءات المتنوعة التي اتخذتها للحد من انتشار الصحف والتضييق عليها ، تلك المتعلقة بالضمانات المالية التي يجب أن تتوفر لدى مؤسس الجريدة، لكن جريدة "البلاغ الجزائري " تكاد تشكل الاستثناء ، ذلك أن المصادر والدراسات التي اهتمت بالشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة تشير إلى مسألة أساس وهي أن ظروفه المادية لم تسعفه على رصد مبالغ مالية مهمة من أجل إصدار صحف موالية لطريقته ،فقد دفعت الظروف المادية الصعبة لأسرة شيخ الطريقة العلاوية - رغم صغر سنه إلى مزاولة حرف وضيعة كالخرازة [297]، كما لم يكن للشيخ ابن عليوة قبل عام 1920 ما يكفيه من المال لإعالة المريدين ،وقد بلغت الضائقة المالية به حد رهن مسكنه[298].

---

(293) ـ حسن مصطفى : الاتصال والمجتمع : الخطاب الافتتاحي ووظائف المكتوب الصحفي الصادر باللسان العربي في تونس (1888-1956) ، مرجع سابق ، ص 45.

(294) ـ المرجع نفسه ، ص 45 - 46.

(295) ــ رزقي بن عومر : خطاب الهوية عند الشيخ عدة بن تونس من خلال مجلة "المرشد" العلاوية ، مرجع سابق ، ص 8 ــ 13.

(296) ــ **أحمد التوفيق المدني** : كتاب الجزائر ، مرجع سابق ، ص 371 ــ 372.

(17) ــ غزالة بوغانم : الطريقة العلاوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية 1909 ــ 1934 ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة منتوري القسطنطينة ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ والآثار ، الموسم الجامعي 2007 ــ 2008. ص 65.

(298) ــ غزالة بوغانم : الطريقة العلاوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية 1909 ــ 1934 ، مرجع سابق ، ص 146.

في مقابل ذلك، ومنذ سنة 1920 ، تزايدت ممتلكات الشيخ بن عليوة ، و كادت عمليات اقتناء العقارات أن تكون سنوية [299]، بل كان يسعى لاقتناء مطبعة منذ إصداره صحيفة لسان الدين، وتمكن عام 1924من شرائها بمبلغ اثنين وعشرين ألف فرنك ، واستعملها لطبع نشرات دينية وكتب وجرائد تدافع عن الطرق الصوفية وعن مشايخها وعن المنتسبين إليها وهي خامس مطبعة عربية بالجزائر في ذلك الوقت[300].

لا نعدم إشارات واضحة عما إذا كانت سلطات الاستعمار الفرنسي هي الجهة الداعمة للمشروع الإعلامي لشيخ الطريقة العلاوية ، بيد إن معطيات الواقع التاريخي و الاجتماعي والسياسي في الجزائر آنذاك المرهون بسياق الواقع الاستعماري يدفعنا إلى إبداء بعض الملاحظات التي تحاول إماطة اللثام عن مصدر الأموال التي أسهمت في تأسيس جريدة " البلاغ الجزائري" :

أولا : تأسست جريدة " البلاغ الجزائري" في سياق وضع دولي ومحلي معقد ، شهد مجموعة من المتغيرات ، أبرزها انعكاسات الحرب العالمية الأولى على الوضع السياسي بفرنسا والتي أسفرت عن أزمة مست المؤسسات السياسية والدستورية وقد أدت إلى تشكيل حكومة ائتلافية ضمت في صفوفها أحزاب ليبرالية وأخرى محافظة ذات برامج سياسية متناقضة؛ كانت ترى في استنزاف المستعمرات بديلا لحل مشاكل فرنسا الاجتماعية والتي عمقتها حركة الاحتجاجات العمالية التي أطرتها نقابات ذات ميولات شيوعية . وتزامن ذلك، مع الأصداء التي خلفها نجاح الثورة البولشيفية في صفوف الأحزاب الشيوعية بأوروبا الغربية وبمستعمراتها ، حيث تم الإعلان عن تأسيس "نجم شمال إفريقيا" في باريس من قبل العمال الجزائريين المهاجرين في فرنسا في يونيو1926،بقيادة " مصالي الحاج "، واستطاع هذا التنظيم ، بتأثير ومساندة الحزب الشيوعي الفرنسي و النقابات العمالية المنضوية تحت لواء الحركة الشيوعية، أن يصبح قوة سياسية و ضعت حدّا للركود السياسي في الجزائر . فطالب بالاستقلال الكامل للبلاد ، وخروج القوات الفرنسية منها، وإلغاء قانون الأهالي و استعادة الجزائريين لأملاكهم المصادرة، وضمان حق الجزائريين في التعليم مع فتح المجال لحرية الصحافة و ممارسة الحقوق السياسية و النقابية. في هذا الصدد تقر الباحثة الجزائرية "غزالة بوغانم "بضرورة ربط صدور جريدة " البلاغ

([299]) ــ المرجع نفسه ، ص 146.

([300])ــ المرجع نفسه ، ص 149.

الجزائري" بالإعلان عن تأسيس جمعية نجم شمال إفريقيا في فرنسا، كرد فعل على بروز الاتجاه الوطني ، الذي حاربه الشيخ ابن عليوة واعتبره مضرا بالدين جالبا لسخط الفرنسيين وموسعا لشقة الخلاف بين المتعاشرين [301]، وبالتالي فدعوة الطريقة لمحاربة الوطنية إنما جاءت حسب رأي ابن عليوة حفاظا على مكانة الدين في الأمة، ولأن الوطن والوطنية خطر على الوحدة الدينية ومن مكر الشيطان، لتحويل الوجهة عن الرابطة الدينية إلى الرابطة المذهبية وهي الخطوة الأولى في انقسام الأمة الإسلامية[302].

ثانيا : منذ الإعلان عن تأسيس الطريقة العلاوية سنة 1914، ظل الشيخ المؤسس أحمد بن مصطفى بن عليوة عنصرا مشبوها لدى السلطات الاستعمارية الفرنسية ، التي كانت تتوجس من صدق نوايا ه تجاهها ، لذا ظلت العلاقة بينه وبين سلطات الاحتلال يشوبها نوع من الحذر والريبة ، وتجسد ذلك في فرض رقابة صارمة على تحركاته وأنشطته ، لكن مواقف مهادنة الاحتلال التي أبداها الشيخ ابن عليوة ، وعدم الخروج عن النطاق الذي حدده لإتباعه ، ودعوته إلى التضامن والتعايش مع الآخر مهما اختلفت عقيدته ، وبدل الشيخ كل ما في وسعه لكسب ثقته ورضاه عنه ، وهو خيار ظلت الطريقة وفية له ولم تكدر صفوه لا الممارسات الاستعمارية على فظاعتها ولا التهم التي لحقتها بسببه ، فهي لا تأبه لذلك ما دامت لا ترى في خيارها عمالة ، وإنما استمالة للمستعمر عسى أن تحرجه بصدق الولاء وشدة الوفاء[303] الأمر الذي يفسر لجوء سلطات الاحتلال إلى مراجعة مواقفها إزاء الشيخ ابن عليوة .

في هذا السياق ، تزامن تأسيس جريدة " البلاغ الجزائري" مع الانتشار الواسع الذي حققته الطريقة العلاوية في الجزائر وخارجها ، إلى حد جذبت إليها أتباعا من النخبة المثقفة الفرنسية الذين وجدوا ضالتهم في الشيخ وتعاليم دعوته[304] ، ومن ثم أضحت الحاجة إلى منبر إعلامي يمكن شيخ الطريقة العلاوية من الدعاية والترويج لمشروعه الإصلاحي القائم على مهادنة الاستعمار الفرنسي في

([301]) ــ غزالة بوغانم : الطريقة العلاوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية 1909 ــ 1934 ، مرجع سابق ، ص 253 ــ 253

([22]) ــ المرجع نفسه ، ص 231.

([303]) ــ المرجع نفسه ، ص 6.

([24]) ــ المرجع نفسه ، ص 193.

(25)ــ في هذا الإطار، أورد التليلي مذكرة أصدرها المقيم الفرنسي بتونس بخصوص إصرار السلطات الاستعمارية على عدم التراجع عن قرار منع الزيارات عن شيوخ الطرق الصوفية بدعوى أن القرار اتفق في شانه حكام شمال إفريقيا ، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية التونسية1881-1939، منشورات كلية الآداب ، منونة ،تونس ، 1992.ص 101.

السياسة لا في الدين عملا بالقاعدة الفقهية "جلب للمصالح ودرء للمفاسد"[305]وتجديد التصوف على مستوى الخطاب والممارسة ، ومقارعة التيارات الفكرية المناوئة للطرقية ، خاصة و أن التيار السلفي واجه المشروع الإصلاحي للشيخ ابن عليوة عبر أعمدة مجلة " الشهاب "، إلى حد اتهامه بالمروق عن الدين ومهادنته لسلطات الاحتلال وتواطئه معها[306]. بل إن أحد السلفيين الجزائريين ، ذهب إلى ربط تأسيس جريدة " البلاغ الجزائري" بحادثة محاولة اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس، في إشارة إلى ما نشرته جريدة البلاغ على أعمدة العدد الأول من عبارات التضامن مع الشيخ السلفي ، وإبعاد التهمة عن الطريقة العلاوية ، أمام تورط أحد أتباعها في جريمة الاعتداء على ابن باديس[307].

ثالثا : انتظر الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة مرور زهاء عشر سنوات عن تأسيس طريقته سنة 1914للإعلان عن تأسيس جريدة " البلاغ الجزائري " ، بعد نجاح سلطات الاستعمار الفرنسي في كسب ود الشيخ والتأكد من صدق نواياه وضمان حياده . في هذا السياق ، تفطنت السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى الخطر الذي يمكن أن تشكله تنقلات شيوخ الزوايا على أطماعهم التوسعية ومشاريعهم الاإستنزافية ، لذا عمدت إلى تحجيم نفوذهم عبر إضعاف البنية الداخلية للطرق الصوفية ، وأصدرت في هذا الشأن مراسيم ومذكرات قانونية تحد من تنقلات شيوخ الزوايا وإجبارهم على الانضباط للإجراءات المتعلقة بالتنقل من قبيل توقيت الرحلة وأهدافها والأماكن المقصودة ومسالكها والمدة التي ستستغرقها[308]. والظاهر، أن تنقلات الشيخ ابن عليوة ورحلاته داخل الجزائر وخارجها شكلت الاستثناء ضمن قاعدة الإجراءات القانونية والزجرية التي حجرت على تنقلات شيوخ الطرق الصوفية .

رأت السلطات الاستعمارية في مؤسس الطريقة العلاوية حليفا موضوعيا وسندا قويا لتأييد مخططاتها ، وبقدر ما كانت تنقلات الشيخ أحمد بن عليوة ورحلاته تؤكد هذا الاتجاه ، بقدر ما كانت رغبة السلطات الاستعمارية هي الحفاظ على القاعدة المادية للطريقة العلاوي وذلك من خلال الحفاظ على مورد

---

(26) ــ المرجع نفسه ، ص 216.

(27) ــ مجلة الشهاب ، العدد 71 ، 27 نونبر 1926.

(28) ــ مجلة الشهاب ، السنة الثانية ، العدد 76، 24 دجنبر 1926، ص 14 ــ 15.

مهم من موارد الطريقة والمتمثل في جمع الزيارات والهدايا أثناء رحلات االعلاوي وتنقلاته ، هذا في الوقت الذي عمدت فيه السلطات الاستعمارية إلى حرمان زوايا أخرى من ذلك المورد ،بذريعة تفقير الأهالي والعجز عن أداء الضرائب، حيث تحسنت أوضاع الطريقة المادية. وتعددت مواردها وتمكن الشيخ العلاوي من بناء زاويته الكبرى بتيجديت) واقتناء ممتلكات جديدة من دور وأراضي ومحلات ذات طابع تجاري، وكانت الزاوية ترسل لجمع التبرعات والإعانات كلما همت بإنجاز مشروع، وتخصص وفودا تقوم بالسياحة لهذا الغرض [309].

واللافت للنظر ، هو استفادة جريدة "البلاغ الجزائري" من عائدات ومداخل وافرة من العمليات الإشهارية ، خصوصا وأن الإعلانات الإشهارية أصبحت تشغل ثلث صفحات الجريدة أو أكثر، فضلا عن كثافتها وتنوعها[310]، التي كانت

"تعكس حجم الدعم المادي الذي كانت تلقاه الصحيفة من أطراف متعددة "[311] ومدى انتشار جريدة البلاغ على نطاق واسع .

من المؤكد ،أن أغلب الطرق الصوفية الجزائرية في العقود الأولى من القرن العشرين دخلت في مرحلة من الانكماش والكمون أدت إلى تقليص حجم بعض الطرق الصوفية ونفوذها ، بفعل التناقضات الداخلية التي ظلت تطبع مواقف شيوخ الزوايا تجاه الاحتلال ، وتراجع الموارد المادية للزوايا بفعل الضغط الجبائي الذي جعل من المريدين عاجزين عن تلبية متطلبات شيوخهم ، وتشكل وضعية الطريقة العلاوية الاستثناء ضمن هذه القاعدة العامة ، ومرد ذلك إلى تجدد الاهتمام بالطرقية من لدن السلطات الاستعمارية الفرنسية بفعل المتغيرات والتحولات التي طبعت الوضع الدولي والمحلي ، وميلاد تيارات سلفية دينية في مظهرها وسياسية في عمقها اتخذت من الحقل الديني أساس صراعها مع الاحتلال

---

(309) ـ عن جمع التبرعات والإعانات ، أنظر غزالة بوغانم : الطريقة العلاوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية 1909 - 1934 ، مرجع سابق ، ص153 - 154.

(310) ـ من بين المواد الاشهارية للصحيفة :الصيدليات والأدوية والإعلانات عن الترل والحمامات ومعامل النجارة والمكتبات والاسطوانات والمطاعم والمشروبات والزيوت والعطور والمبيدات والوقود والخياطة والملابس ، أنظر غزالة بوغانم : الطريقة العلاوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية 1909 - 1934 ، مرجع سابق ، ص151 - 152.

(31) ـ غزالة بوغانم : الطريقة العلاوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية 1909 - 1934 ، مرجع سابق ، ص153.

والطرقية على حد سواء. وهذا ما يفسر أشكال الدعم المادي والامتيازات التي حظيت بها الطريقة العلاوية دون غيرها من الطرق الصوفية .

2 ـ المتن الصوفي ضمن أعمدة صحيفة البلاغ الجزائري

لم تقتصر وظائف جريدة " البلاغ الجزائري " على الإخبار والتبليغ والإرشاد ، بل تجاوزتها إلى وظيفة الدفاع ، لذا كان أغلب موادها موجهة للدفاع عن التصوف الإسلامي عامة ، والتصوف الطرقي على وجه الخصوص ، وجاء المتن الصوفي في أعمدة البلاغ متنوعا وغزيرا تطرق إلى نشأة التصوف ومراحل تطوره والتعريف بمشاهير رجاله وذكر كراماتهم وعرض أحوالهم وجواز التبرك بهم والتوسل بمقامهم ،وتطرقت مقالات أخرى إلى تعاليم الطريقة العلاوية ، ورصدت نشاط الطريقة داخليا و خارجيا بما تقيمه من احتفالات و تجمعات و تدشينات للزوايا، وغالبا ما كانت المواد التي تعنى بالتصوف، في مجملها إطرائية واحتفالية ، تتصدر الصفحة الأولى للجريدة، ويغيب عنها مبدأ النقد الذاتي ، ومن خلالها تعبر هيأة التحرير عن آرائها، خاصة في المقالات الافتتاحية التي كانت توقع باسم "البلاغ" ، بينما حملت المواد الأخرى توقيعات جزائريين وتونسيين ومغاربة ومصريين ، وهذا يفسر حرص جريدة "البلاغ " على استقطاب "نخب " صوفية من خارج الجزائر كانت قادرة على الدفاع عن حقيقة التصوف ومشروعيته، في ظل الانتقادات اللاذعة والعنيفة التي تعرض من قبل التيار السلفي الإصلاحي .

تأكيدا لما سبق ذكره، ارتأينا عرض أهم عناوين المقالات التي تضمنتها بعض الأعداد من جريدة البلاغ، وهي على الشكل التالي:

عنوان المقال	محرر المقال	رقم العدد	تاريخ الصدور
أسلوب التذكير	البلاغ	3	15 يناير 1927
ماذا ينكر من أحوال المتصوفة	أحمد سكيرج	11	04 مارس 1927
نصرة أهل الله	إدريس بن عزوز	18	17 غشت 1927
التصوف في الشرع وأقوال العلماء فيه	محمد بيرم	29	22 يوليوز 1927
التصوف والصوفي	عبد الواحد عبد الله	34	28 غشت 1927
التصوف في الشرع وأقوال العلماء فيه	محمد فتح الله بن عمر	39	07 أكتوبر 1927
التصوف في الشرع وأقوال العلماء فيه	أحمد المردوفي الشافعي الزهري	40	14 أكتوبر 1927
التصوف في الشرع وأقوال العلماء فيه	البلاغ	42	28 أكتوبر 1927
أسئلة وأجوبة في شأن الطرق والطرقيين	أحمد المجاجي	75	29 يونيو 1928
نبذة عن أحوال الأولياء	محمد العربي بن صالح	82	17 غشت 1928
وحدة الصوفي والسلفي	قدور بن أحمد المجاجي	82	17 غشت 1928
إلى إخواننا الطرقيين	قدور بن أحمد المجاجي	91	26 أكتوبر 1928
التعاليم العلوية	إبراهيم بن أبي بكر	120	31 ماي 1929
توجيه أرباب الطرق	البلاغ	121	07 يونيو 1929
معنى الشريعة والطريقة	الشيخ العلوي	143	15 نونبر 1929
بعض المعلومات عن الطرق الصوفية وما لأهلها من فضل	الكاتب السني	299	30 يونيو 1933
زوايا الصوفية وآثارها الخالدة	الغريب	300	17 غشت 1933

التصوف في نظر علية الكتاب وكبار المفكرين	البلاغ	303	04 غشت 1933
ما الحق إلا ما به الأولياء اهتدوا	ح ـ س	306	11 غشت 1933
الروحانية والدين	عن مجلة المناهج	319	01 دجنبر 1933
حقيقة التصوف	ابن قدور محمد	320	18 دجنبر 1933
التصوف في نظر البلاغ	البلاغ الجزائري	467	30 يونيو 1939
زوايا الصوفية وآثارها الخالدة المحمودة	البلاغ الجزائري	474	10 نونبر 1939

هكذا تكشف العناوين المسطرة أعلاه، توجهات الجريدة وتحدد وظائفها وأهدافها التي كانت تربوية تعليمية في الأساس، ولا تشكل تهديدا للوجود الاستعماري.

في السياق ذاته ، نافحت صحيفة " البلاغ" بشدة عن مشروعية التصوف الطرقي وممارساته وطقوسه ، وأفردت في هذا الشأن مواد صحفية متنوعة ، أشارت فيها إلى "ما يشاع ويذاع من كون البلاغ الجزائري لم يؤسس إلا لأجل حماية الطرقيين كيفما كانت صبغته ، سواء عليهم استقاموا على الطريقة أم انحرفوا عن الدين ،هذا ما قد تنطق به بعض الألسن وتسبق إليه بعض الظنون. ونحن نتبرأ لله من هاته التهمة ونستعيده سبحانه وتعالى من مثل هذه الوصمة ، ونقول بكل صراحة أن البلاغ لم يكن ولن يكون أبدا ليحمي من لم يحم شرع الله، ولا يتولى من أذل الله فالطرقيون كغيرهم من سائر أفراد الأمة لا يخلو أن يوجد من بينهم المصلح"[312].

هكذا ، عبرت "البلاغ" عن موقفها تجاه خصومها باعتبارها " جريدة طرقية وعلوية أيضا وغير ذلك من الألقاب التي يرونها لتحطيم شرف الجريدة حسبما يظنون . ونحن نقول لهم ليس الأمر كذلك في جميع ما تصفون به البلاغ ، ولا أنتم مصيبون في تعريفكم له. إلا إذا قلتم إن البلاغ عبارة عن عقبة كؤود وحجرة عثرة في طريق الإلحاد ، وفي طريق دعاته وجذع أجذع في عيون أرباب التجديد وأنصاره . نعم يقولون ، إن البلاغ يريد أن ينتصر لمذهب التصوف بالخصوص ويعمل على ترويجه . ونحن نقول لهم : إننا لا ننتصر إلا لمذهب أهل السنة والجماعة ومذهب التصوف في ضمن ذلك لأننا وجدناهم قد أجمعوا على توقيره واحترامه وكانوا يعتبرون المنتسبين إليه من أعلى طبقات الأمة وخاصتها"[313]. وهاجمت صحيفة "البلاغ" كل المتحاملين " على تلك الحدود المتينة وهي الطرق والسالكون عليها من الصوفية والمتمسكون بعهودهم ... الزوايا التي قام أهلها بالدعوة للحق لولاها لفشلت

([312]) ـ البلاغ الجزائري، العدد 39 ،10 ربيع الثاني 1346، اكتوبر 1927.
([3]3) ـ البلاغ الجزائري ، العدد 83 ، 24 غشت 1928.
([3]4) ـ البلاغ الجزائري ،العدد 46 ، 25 نونبر1927.
([3]5) ـ البلاغ الجزائري ، العدد 74 ، 22 يونيو 1928 .
(36)ـ البلاغ الجزائري، العدد 26،91 أكتوبر 1928 .

قوائم الإسلام "[314] وأكدت " البلاغ " المكانة السامية للطرق الصوفية "التي لولا وجودها بين ديار الإسلام لما بقي على وجه البسيطة من يعرف خالقه بل لما بقي علي ظهر الأرض انسانية " [315].

لم يفتر اهتمام صحيفة "البلاغ الجزائري" في الدفاع عن الطرقية ، بل وجهت دعوة مفتوحة إلى كل" فرد من أبناء الطريقة أن يدافع عن حوزة دينه ، وشرف طريقته ، وعرض جماعته ما استطاع ، حتى يعد بذلك عضوا صحيحا في جسم جماعته ، بل في أمته ، لتتوقف سعادتها على تغيير المنكر ونشر المعروف اللذين هما من شأن أعضاء الطريق ، كما يلزم الجماعة أن تقوم قومة واحدة لرد لسان الأذى عن دينهم وطريقتهم وجماعتهم ، كذا أمر الإسلام والطرق الآمرة بلبس فضائله وأخلاقه وآدابه وعلومه " [316]." على أساس أن أمر الصوفية قد "تحقق من قديم وعرفت مقاصدهم التي سلكوا لها على الصراط القديم فهم الحافظون على شعائر الدين باجتهاد تام بين الخاص والعام حتى ظهرت عليهم بها الفتوحات الربانية الدالة على مالهم من حسن الاقتداء بالكتاب والسنة " [317] وأكدت الجريدة نفسها على أن التصوف الطرقي لا يصادم الشرع ولا يتناقض مع مبدأ التوحيد ولا يحيد عن ما جاء به الكتاب والسنة ، ويعتمد على الاقتداء بما كان عليه أهل السلف ، وعلى الآثار التي خلفها كبار الصوفية أمثال شهاب الدين السهروردي في كتابه عوارف العوارف ، وابن الحاج الفاسي في "الأزهار الطيبة النشر" والجواهري في اليواقيت والجواهر والقشيري في الرسالة ، وابن عربي في الفتوحات المكية والتيجاني في جواهر المعاني ،و الشعراني في " البحر المورود" [318]

أضف إلى ما سبق، لقد شكلت الممارسات والطقوس الصوفية، من سماع ورقص وتوسل، مكانة سامية لدى الكثير من الطرق الصوفية ، وحظيت بأولوية خاصة بين شيوخها، نظرا لأهميتها في التربية والسلوك والارتقاء بالمريدين إلى مقامات ومدارج طريق أهل القوم ، حتى أضحت هذه الطقوس عبادة مشروعة ،وكان من جملة الانتقادات العنيفة واللاذعة التي وجهت للطرق الصوفية ، تتعلق بتلك الممارسات والطقوس التي صنفها خصوم الطرقية ضمن الممارسات البدعية وضرب من الدجل

([3]7) ـ البلاغ الجزائري ، العدد 46 ، 25 /11/ 1927 .

([3]8) ــ البلاغ الجزائري ، العدد 34 ، 28 / 08/ 1927 .

والشعوذة والخرافات .وكان من الطبيعي أن يتولد عن إنكار خصوم الطرقيين للرقص والسماع والتوسل ، رد فعل من طرف الطريقة العلاوية التي سخرت أعمدة جريدة "البلاغ الجزائري " للرد على انتقادات الخصوم والدفاع عن الممارسات والطقوس الصوفية ، على اعتبار أنها أعمال مرغوبة ومحمودة وموافقة للكتاب والسنة .

في هذا الإطار، أشارت البلاغ قائلة: " وقد اختلف فقهاء في الاهتزاز عند قراءة القرآن وحظ الحال على فعله بقدر الحاجة للنشاط ودفع الكسل فكذلك الذكر لعدم الفارق لكن مع الأدب، فلا يتجاوز الحد حتى يكون تلاعبا ورقصا وهذا فيمن تمالك حاله وضبط أفعاله وكان باختياره. أما من غلب عليه حاله وسلب بالذكر اختياره وغاب عن حسه وشعوره فلا حرج عليه فيما يصنع لأن أفعاله اضطرارية ولا تكلف إلا بفعل اختياري ... أما الإنشاد وسماعه فلا باس به لاشتماله على حكم ومواعظ فتقوى به الروح وتنتعش لأنه لها كالغذاء وينهض الجسم ويهيم في الذكر .... وأما الاجتماع على الذكر وإيقاعه في الجماعة فقد قالت الصوفية إن الذكر في الجماعة كالصلاة "[319] . وأكدت جريدة الطريقة العلاوية على ما كان عليه "المشايخ وأشباههم من أهل الطرق المحمدية في ملازمة ذكر الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وترتيبهم الحلقة المسماة عندهم بالهاوية ودورانهم بها وقولهم هو قاصدين بذلك النشاط والمعونة على ذكر الله تعالى مع شدة الوجد والشوق لدلك والهيام والتلذذ بما هناك مقتدين في أقوالهم وأفعالهم بقوله تعالى الدين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم(سورة ال عمران اية 191) مطلوب مرغوب موافق في الحالة المذكورة للكتاب والسنة"[320]

ورصدت صحيفة "البلاغ الجزائري" مواقف وآراء ثلة من علماء شمال إفريقيا في سلسلة من المقالات عنونتها ب" التصوف ومكانته في الشرع وأقوال العلماء فيه إذ " أجمعت في مجملها عن أحقية السماع والرقص والذكر والتوسل في تربية المريدين والارتقاء بهم إلى مدراج السلوك الصوفي .في هذا السياق ، أكد الشيخ محمد بيرم التونسي على أن " طريق التصوف له سند يتصل بصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام ... وأن هذا الطريق يجهر فيها بالذكر، وأن هذا الطريق يذكر أصحابه فرادى ومجتمعين .... ذكر الجماعة في المساجد وغيرها ألا أن يشوش جهرهم على نائم أو مصل أو قارئ .... الذكر قياما وقعودا وهذا أيضا لا شك في جوازه..... الرخصة فيما ذكر من الأوضاع عند الذكر والسماع للعارفين الصارفين أوقاتهم إلى أحسن الأعمال ، السالكين المالكين لضبط أنفسهم عن قبائح الأحوال ، فهم لا يسمعون إلا من الله ، ولا يشتاقون إلا الله ، فإن ذكروه ناحوا ، وإن شكروه باحوا ، وإن وجدوه

([319]) ــ البلاغ الجزائري ،العدد 39 ، 07 أكتوبر 1927.

([320]) ــ البلاغ الجزائري ، العدد نفسه.

صاحوا ،وإن شاهدوه استراحوا، وإن سرحوا في حضرة قربه ساحوا ، إذ غلب عليهم الوجد بغلباته وشربوا من موارد إرادته ، فمنهم من طرقته طوارق الهيبة فخر وذاب ، ومنهم من برقت له بوارق اللطف فتحرك وطاب ، ومنهم من طلع عليه الحب من مطلع القرب فسكر وغاب " [321]. وأورد الشيخ محمد فتح الله المصري إشارات أخرى بخصوص الممارسات الصوفية التي "وضعها أهل الطريق في الذكر من القيام والجهر والاهتزاز وقصر الاسم الشريف في بعض الأحوال وإفراد لا إله إلا الله عن محمد رسول الله ص والإنشاد والاجتماع على الذكر ولبس الخرقة ليس فيها منكر ولا دليل على منعها بل هي مشروعة .....وإن إنكار المنكر ومعارضته لهؤلاء الجماعة وأمثالهم محض جهل وعناد لانطماس بصيرته وعماه وحجبه عن طريق الهدى وعدم معرفته لأوضاع الطريق " [322]

وأشاد الشيخ أبو الخير أحمد المرحومي الشافعي ب " أهل الطرق المحمدية في ملازمة ذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله "ص" وترتيبهم الحلقة المسماة عندهم بالهوية ودورانهم بها وقولهم هو هو قاصدين بذلك النشاط والمعونة على ذكر الله مع شدة الوجد والشوق لذلك ، والهيام والتلذذ بما هناك مقتدين في أقوالهم وأفعالهم بقوله تعالى " الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم " مطلوب مرغوب موافق في الحالة المذكورة للكتاب والسنة....فمن رمى مثل هؤلاء الجماعة بالاعتراض بقول أو فعل فقد تعرض للمقت من الله تعالى ... والحاصل إن الاعتقاد خصوصا في مثل هؤلاء الجماعة مطلوب ، ولا يجوز الإنكار إلا على من يأتي بما يخالف الشرع وينابذه ظاهرا من قول أو فعل "[323].

وتصدت مقالات جريدة "البلاغ "للانتقادات العنيفة التي وجهت للتصوف الطرقي وممارساته الطقوسية ، بدعوى أن هذه الانتقادات لا تستند على مبرر شرعي ولا على أدلة قطعية ، وأكدت "البلاغ" في هذا الصدد :"إنما صدر من هذا المنكر المذكور والمجازف المغرور من تحريم المباح وتكفير أهل العلم والصلاح أمر شنيع وقول فضيع لا يصدر مثله عاقل ولا يتفوه به لبيب فاضل لخروجه عن القواعد العلمية وعدم رجوعه إلى الضوابط الفقهية إذ من شرائط إنكار المنكر معرفة مذهب المنكر عليه لاحتمال أن يكون ذلك الفعل جائزا لديه فيصير الإنكار منكرا والقائل به من أي مذاهب كان مزورا ....فلا يقدم على المنكر إلا عالم نحرير متسع الدراية والاطلاع عارف بخلاف ومراتب الاجماع لاسيما في مسالة السماع فإنها دقيقة المغزى بعيدة المرمى واسعة المجال شاسعة المال قد اضطرت فيها أقوال السلف"[324].

---

(321)- البلاغ الجزائري ، العدد 37 ،23 شتنبر 1927 .
(42) - البلاغ الجزائري ،العدد 39 ، 07 أكتوبر 1927 .

(323) - البلاغ الجزائري ،العدد 40 ، 14 أكتوبر 1927 .

(44) ــ البلاغ الجزائري ، العدد 42 ، 28أكتوبر1927

خلاصة القول، لقد جاء المتن الصوفي في أعمدة وصفحات "جريدة البلاغ الجزائري " كرد فعل لما تضمنته الكتابات السلفية الجزائرية من انتقادات لاذعة تجاه الطرق الصوفية وممارساتها البدعية، ويعيد الاعتبار للطرقيين من خلال الدفاع عن منحاهم الصوفي بدليل الكتاب والسنة، لاسيما وأن انتقادات السلفيين للطرفيين لم تخرج عن سياق المبدأ العام الذي يتردد في جميع الاتجاهات والتيارات السلفية وهو التخلي عن ما أحدث في الدين والرجوع إلى ما جاء في الكتاب والسنة، والاقتداء بما كان عليه السلف الصالح.

3 ـ جريدة " البلاغ الجزائري" في غمرة الصراع السلفي الطرقي:

استأثر صدور جريدة " البلاغ الجزائري" باهتمام مجلة " الشهاب" الموالية للتيار السلفي الإصلاحي الذي كان يقوده المصلح عبد الحميد ين باديس ، وخصصت في هذا الصدد مقالا إخباريا ، أشارت من خلاله إلى صدور العدد الأول من جريدة "البلاغ " بتاريخ 24 دجنبر 1926 بمستغانم ، وعرفت بأغراضها باعتبارها جريدة علمية ، إرشادية ، دفاعية ،وصنفتها ضمن الصحف الموالية للطريقة العلاوية [325].غير أن اللافت في تغطية " الشهاب " لخبر صدور جريدة "البلاغ الجزائري"، هو ربطه بحادث محاولة اغتيال السلفي عبد الحميد بن باديس ، الذي لقي موجة من السخط العارم في صفوف سلفيي الجزائر، وتردد صداه على أعمدة الصحف الجزائرية والتونسية والمصرية ، واستنكره عدد من العلماء في مقدمتهم علماء وشيوخ الأزهر[326].وخصصت مجلة " الشهاب " عبر أعمدتها مواد صحفية متنوعة من مقالات إخبارية وتعاليق تحليلية وبيانات ورسائل التضامن حول حادث الاعتداء على ابن باديس ، ورصدت في هذا السياق ، ملابسات وحيثيات الاعتداء من خلال مقال عنونته ب " فاجعة الفتك بالأستاذ " جاء فيه على وجه الخصوص : "" في ليلة الأربعاء 9 جمادى الثانية على الساعة السابعة مساء كمن أحد الأوباش للأستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس في طريق داره بعد خروجه من درس القرآن العزيز، وفاجأه بضربتين الأولى على الرأس والثانية تحت العين ، وكانت الأولى قوية للغاية أراد بها الجاني إسقاط الأستاذ للقضاء عليه ..[والجاني] اسمه ممين محمد الشريف من أهالي جعفرة حوز مجانة من دائرة برج بوعريريج ، بعد تفتيشه وفحصه وجدوا تحته ورقة الرجوع في السكك الحديدية للجزائر وسبحة عليوية ، وبوجود ذلك تحته مع هيئة لحيته المخصوصة لإخوان ابن عليوة تبين أنه من أتباعه ،وأنه مسخر منه أو من يقوم مقامه للفتك بالأستاذ والقضاء على حياته ... وتحققوا أن الجاني من

(45) –مجلة الشهاب ، السنة الثانية ، العدد 80، 20 يناير 1927،ص 16ــ 17.

(46) – مجلة الشهاب ، السنة الثانية ، العدد 78، 2 يناير 1927، ص 12. أنظر أيضا العدد 82، 3 فبراير 1927، ص 13ــ 14

أتباع ابن عليوة الصوفي العصري كما تحققنا أن الجاني ثلاثة أو أربعة من أتباع الشيخ المربي وكلهم أتوا للفتك بالأستاذ"[327].

وعلى الرغم من كون صحيفة" البلاغ الجزائري" أعربت في عددها الأول عن استيائها عما لحقها " من أجل السطو الواقع على الشيخ عبد الحميد باديس وما كان بودنا أن يؤذى مثله " [328]و ما لحق "الأستاذ العليوي من الاستياء وتا الله لكان أبلغ ما ينبغي أن يلحق المؤمن على المؤمن وما كان قولنا هذا عن مداهنة أو نفاق" [329]، فإن مجلة " الشهاب " أصرت على إلصاق تهمة الاعتداء على ابن باديس بأحد مريدي الطريقة العلاوية وشيخها أحمد بن مصطفى بن عليوة مؤكدة على ما فعله "الجاني العليوي بإيعاز رجال وطريقته وعدوه جانيا على العلم والصحافة والحرية"[330]، واستغرب "الشهاب" من أن يقوم بهذا الفعل الإجرامي " صوفية مسلمون ويفتكون بحملة شريعة محمد ودعاة الناس إلى الخير"[331] ، وأن يصل الحال" بمتأخري الطرقيين إلى هذه الغاية المشؤومة ، ولا توقعنا سابقا أن تحكم طريقة على رجال العلم بمثل هذه الأحكام القاسية : أحكام القتل والإعدام "[332]، ودعت مجلة "الشهاب" أن يتحلى الشيخ ابن عليوة وأتباعه بالجرأة الكاملة ليعلنوا" بواسطة الجرائد براءتهم من أعمال هؤلاء الجناة المعتدين وطردهم وإخراجهم عن طريقتهم وحزبهم ويلعنونهم على رؤوس الإشهاد ... ولا أرى لهم وسيلة تمحو وصمة هذا العار الكبير عن هذه الطريقة ـ بل عن كل الطرق ـ غير هذه وإلا فالجريمة بهم لاصقة لا محالة والتهمة عليهم متوجهة ، وهم عن كل حديث مسؤولون وبه مؤاخذون ـ لا سيما الشيخ ـ وما أدراك من الشيخ

---

(47)- مجلة الشهاب ، السنة الثانية ، العدد 80، 20 يناير 1927،ص 17.

(48) ــ مجلة الشهاب ، العدد نفسه .

(49) ــ مجلة الشهاب ، السنة الثانية ، العدد78 ، 2يناير 1927، ص 12.

(50) ــ مجلة الشهاب ، السنة الثانية ، العدد 80،20 يناير 1927، ص3

(331) ــ مجلة الشهاب ، السنة الثانية ، العدد 80،20 يناير 1927، ص3.

(52) ــ مجلة الشهاب ، العدد نفسه ، الصفحة نفسها .

"[333]، وأكدت المجلة نفسها على " أن الطرقي لا يقوم بعمل قل أو جل (وخصوصا إذا كان من نوع ما وقع على عبد الحميد) إلا بإذن الشيخ وإرادته وأخذ رأيه قبل كل شيء" [334]، ودعت الشهاب سلطات الاحتلال الفرنسي إلى تشديد المراقبة على الطريقة العلاوية "التي تعتمد في نشرها مبادئها الباطلة على القتل وسفك الدماء "[335] . وتساءلت الشهاب في الوقت ذاته عن مبررات سكوت صحيفة " البلاغ الجزائري" عن استنكار فعل الجاني والبراءة منه فإنه "معترف بأنه عليوي وإنما ينكر الجناية وقد أثبتتها عليه العدالة فما بقي على صحيفة الطريقة التي ينتمي إليها هذا الجاني في نظر العدالة ، إلا تشذيب فعله وتبرئة الطريقة منه ، أما السكوت عن جنايته بعد ثبوتها في نظر العدالة عليه فلا يفسر في نظر كل أحد إلا بما يليق بتلك الصحيفة وطريقتها" [336] .

توجيها لمسارات التحليل، نصوغ الأسئلة التالية: هل يمكن النظر إلى الاعتداء على السلفي عبد الحميد بن باديس كحادث معزول عن السياق التاريخي الذي أفرزه ؟ لماذا أصرت مجلة "الشهاب" الموالية للتيار السلفي الإصلاحي على إلصاق تهمة الاعتداء بالطريقة العلاوية وبإيعاز من شيخها ؟ هل كان وراء الاعتداء أطراف أخرى لاسيما وأن ابن باديس شكل مصدر قلق وإزعاج لا للطرقيين فحسب بل لسلطات الاحتلال أيضا ؟

جوابا عن الإشكال أعلاه نقول: إن عبد الحميد بن باديس كان رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر وكان يدرك ما للصحافة من أهمية في نشر الفكر الإصلاحي ، ويعي مدى أهميتها في توعية المواطنين ،و كان يؤمن بالصحافة كقوة وسلاح يستعمل في محاربة الظلم ، والدفاع عن الحرية والحق والسلام ، وكوسيلة فعالة لنشر المعرفة والعلوم " [337] . وكان عبد الحميد بن باديس شديد الإعجاب والشغف بقراءة الصحف والمجلات الإصلاحية المشرقية كمجلة "المنار" لرشيد رضا ومجلة "الفتح" لمحب الدين الخطيب وجرائد "المؤيد "و"اللواء "و"الأستاذ" ، لكونها كرست معظم صفحاتها لمحاربة

([53]) ــ مجلة الشهاب ، السنة الثانية ، العدد 80 ، 20 يناير 1927،ص 10.

(54) – مجلة الشهاب ، العدد نفسه ،ص 11.

([55]) ــ مجلة الشهاب ، السنة الثانية ، العدد 78 2 يناير 1927،ص 12.

([56]) ــ مجلة الشهاب ، السنة الثالثة ، العدد 141، 5 أبريل 1928، ص 15.

[337]) - محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير ، دار الشروق ، 1999، ص 45.

البدع والخرافات التي شاعت في المجتمع المصري ، وتحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة . على هذا الأساس ، أصدر عبد الحميد بن باديس جريدة " المنتقد " سنة 1925 بمدينة قسنطينة تحت شعار " الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء " ولقد حدد أهداف الجريدة في افتتاحية العدد الأول في قوله " باسم الله، ثم باسم الحق والوطن، ندخل عالم الصحافة العظيم، شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحمّلها فيه، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون... وها نحن نعرض على العموم مبادئنا التي عقدنا العزم على السير عليها. نحن قومٌ مسلمون جزائريون، فلأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى كمال إنساني ، ونحرص على الأخوة والسلام بين شعوب البشر" [338].

وأكد في العدد الثاني على استقلالية الخط التحريري للجريدة، يقول :" إننا لسنا لإنسان، ولا على إنسان وإنما نخدم الحق والوطن...ونكرر القول إن "المنتقد" لا يباع ولا يشترى"[339]. فأصبحت هذه الصحيفة منبراً لتوجيه وتوعية الجزائريين وقناة لنقد الوضع الاستعماري المفروض على الجزائر وصوتاً لمناصرة القضايا الكبرى للمسلمين في فترة العشرينيات كثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي ومساندة الشعب الليبي.

والظاهر أن جريدة "المنتقد"، كما يبدو من خلال اسمها، كانت موجهة بالأساس نحو محاربة بدع وضلالات رجال الطرق الصوفية وكشف حقيقة الطرق المنحرفة وتبيين منهج إصلاح عقائد الناس وأعمالهم [340] ، الأمر الذي عرضها للمنع من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية ، و لم تعمر سوى

---

(58)ــ جريدة المنتقد ، العدد الأول ، 3 يوليوز 1925

59ــ جريدة المنتقد ، العدد الثاني ، 9 يوليوز 1925.

(60) – في هذا الصدد نشرت المنتقد مقالا بعنوان" نكبات الأمة الجزائرية " أرباب الطرق وما أدراك ما أرباب الطرق إلاّ بعضهم فقد وقفوا حجر عثرة في طريق رقينا ، بتمويهاتهم التي يلقونها على الأذهان الساذجة ، والاعتقادات الباطلة الفاسدة التي لم تتوخ الحق في شيء ، ودعاويهم المفندة ، فكم سمعناهم يدعون أنهم يرون ما لا يراه الناظرون ، وأن مفاتيح الخير والشر معقود بأيديهم ، وأنّ من لم يرضِ شيخه لم يرض عليه ربّه وأنّ مقاليد الجنون رهن يمينهم يتصرفون فيهم كيفما شاءوا ، وغيرها ، وهذه كلها دعاوٍ لم يؤيدها برهان و لم تقم عليها حجة بتبيان ومن أفظع الجنايات التي جناها هؤلاء ادعاؤهم أنهم رؤساء الديانة ورافعو رايتها ... إن هؤلاء السحّارين الأفاكين تسلّطوا على العامة تسلّط المالك على المملوك بصفة كونهم زعماء الدين والداعين إلى سبيل رب العالمين : فابتزوا أموالهم وامتصوا دماءها ، حتى إنك لتجد أقلهم سحرًا يمتلك الملايين من الدنانير ، والعجب كل العجب من العامّة تشاهد بعينها وتسمع بأذنها ، وما تنفك طائعة لهم معتقدة صلاحهم وأهليتهم لرياسة الدين ، تالله لقد ضلّ هؤلاء الدجالون ومن يقتدي بهم ، وأيّ ضلال فوق اعتقاد تنزل الوحي بعد محمد على أحد أسلافهم ، وإن كانوا لا يعتقدونه وحيًا صرفًا إلاّ أنه" ابن عم الوحي "هذا جزء يسير من موبقات هاته الكتلة الضالة ، ولو تتبعت كل ما تأتيه من الفواحش والمنكرات لما وسعني المقام " جريدة المنتقد "العدد 4 ، 23 يوليوز 1925.

أربعة أشهر ، أصدرت خلالها ثمانية عشر عددًا . ويبدو أن لهجة صحيفة "المنتقد " وانتقادها الشديد لرجال الطرق الصوفية والزوايا الذين كانوا يشكلون حلفاء استراتيجيين لسلطات الاحتلال كان وراء منع صدور "المنتقد"، حيث كشف ابن باديس عن ذلك في قوله: "ولكن أثار الذين اعتادوا التملق صدقها. وكبر على الذين تعودوا النفاق صراحتها. وهال الذين اعتادوا الجبن من الرؤساء، أو اعتادوا الجمود من الأتباع صرامتنا. فأجمعت هذه الطرائق أمرها، وأخذوا يسعون في الوشاية ضدها، وحمل الحطب للمراجع العليا لحرقها، حتى عطلت"[341].

بعد ذلك، أنشأ عبد الحميد بن باديس مجلة " الشهاب " خلفا لجريدة " المنتقد " سنة 1925 ،والتي تعد من أشهر المجلات في المغرب العربيّ، في النّصف الأوّل من القرن العشرين، ويظهر أنها اتخذت شكل مجلة المنار وأفكارها الإصلاحية ، ومن حيث موضوعاتها وتبويبها وأسلوبها وخطها التحريري . وكانت "الشهاب" مجلة خاصة بابن باديس وبمشروعه الإصلاحي للجزائر، عكس ما ذهب إليه بعض الباحثين أنور الجندي و أبو القاسم سعد الله وعلال الفاسي كون مجلة الشهاب ناطقة باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بدليل أن هذه الأخيرة تأسّست في ماي 1931 ، في حين أنّ الشّهاب صدرت في أواخر 1925، ورغم ذلك لم تمانع المجلة من نشر أفكار وطروحات دعاة الإصلاح وعموم السلفيين في العالم العربي . وكانت لهذه المجلة شهرة واسعة في العالم الإسلامي وشهد بفضلها كبار العلماء والمصلحين .

لقد حصر ابن باديس الاتجاه العام الذي سارت عليه مجلة الشهاب في مبدأين أساسين : الأول سياسي ، والثاني ديني تمثل في " الرجوع بالمسلمين إلى جوهر دينهم الأصلي البريء من جميع الضلالات والخرافات والتعصبات، المحرر للعقول ، المهذب للنفوس ، والساعي بالإنسانية إلى الصراط المستقيم ، إلى سعادة الدارين ، ولما كانت الطرق في معظم أمرها منبعا لكثير من هذه المهلكات ، وفق الشهاب لها لنقدها ومحاولة إصلاحها "[342]. وأولت مجلة الشهاب ، شأنها شأن الصحافة الإصلاحية المشرقية ، عناية بالشأن الطرقي منذ صدور الأعداد الأولى اعتبارا من سنة 1925 وتوالي اهتمامها بقضايا التصوف الإسلامي إلى صدور آخر في شهر شتنبر 1939. و استأثرت الطرق الصوفية بصفحات كثيرة في مجلة الشهاب ، وتكمن أهمية المواد المنشورة في الشهاب حول الطرقية في التغطية الصرفة

---

(61) ــ جريدة "الشهاب ،العدد الأول ، 12 نونبر 1925.

(62)ــ مجلة الشهاب العدد 108 ، 24 غشت 1927.

لأخبار الطرق الصوفية والزوايا وشيوخها فحسب ، بل في تحاليلها وتقييماتها وقراءاتها وتعاليقها ، وتنوع مصادرها واختلاف طبيعتها وتناغم توجهاتها، التي كانت في معظمها مغرضة ونقدية.

لقد أجمعت المقالات المنشورة في " الشهاب " على ما أصاب الأمة الجزائرية من انحطاط وجمود وتخلف هو كما يدعي شيوخ الطرق الصوفية من " المنكرات والخزعبلات التي تأبها كل شريعة سماوية"[343]كتعظيم جمل المحمل والسجود على أعتاب الأضرحة وتقبيلها ومخاطبة الموتى في السادة الأولياء ،وكل ذلك محرم شرعا إن لم يكن كفرا وإشراكا بالله "[344]، وجمع الأموال " باسم " الزيارة " و " الوعدة "والزكاة و"العشور" و"الضيافة" و"الزردة "إلى غير ذلك من " أجرة الحجب " ورشوة " الحروز "[345].

الجدير بالذكر ، هو أن السلفي عبد الحميد بن باديس شكل مرجعا للنخبة المغاربية عامة والجزائرية على وجه الخصوص في الصراع مع الطرق الصوفية، حيث لم تقتصر مواقفه المعلنة والصريحة في مهاجمة الطرقية على حلقات الدرس وخطب الوعظ والإرشاد، بل اتخذ من صفحات" الشهاب" منبرا لانتقاد الطرقيين وطقوسهم وممارستهم البدعية، التي اعتبرها ضرب من التدجيل والشعوذة التي شوهت المعتقدات الحقيقية للدين الإسلامي ، وأساس التخلف الديني وسيادة التقليد والجمود. وكانت الطريقة العلاوية أول ما اصطدم به عبد الحميد بن باديس وبشيخها المؤسس أحمد بن عليوة على إثر إصدار هذا الأخير لديوان شعري يبدو من خلال أبياته ، اعتناق الشيخ العلاوي لمذهب

---

(63)ـــ مجلة الشهاب ، العدد 69 ،20 نونبر 1926، ص 8 .

(64) ـــ مجلة الشهاب ، العدد 65 ، 7 نونبر 1926، ص 9 ـــ 10.

(65) ـــ مجلة الشهاب ، العدد 63 ، 18 أكتوبر 1926، ص 11.

(66) ـــ من الأبيات التي أثارت ردود فعل السلفيين الإصلاحيين :فتشت عليك يا الله لقيت روحي أنا الله ، ديوان الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي ،ط6،المطبعة العلاوية ، الجزائر ،199

(67) ـــ أنظر نص الرسالة ، أحمد حمياني : صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس ، منشورات دار البعث ، الجزائر ، د ـــ ت ،ص 69 ـــ 79.

(68) ـــ أنظر تقاريظ العلماء بخصوص رسالة ابن باديس ، أحمد حمياني : صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس ، مرجع سابق ،ص 80 ـــ 87.

الحلول ووحدة الوجود [346]، الأمر الذي تولدت عنه ردود أفعال عنيفة من قبل السلفيين الإصلاحيين، وفي طليعتهم عبد الحميد بن باديس الذي لم يتردد في الرد على الشيخ العلاوي برسالة عنونها " جواب سؤال عن سؤال مقال" انتهى من تحريرها سنة 1922[347]، وخلفت صدى كبيرا في صفوف كبار علماء تونس والجزائر والمغرب الذين "أطلعوا عليها ووافقوا على ما جاء فيها ، وضللوا من فاه بهذا الكلام " [348]. وقد أحدثت رسالة ابن باديس صدمة عنيفة للطريقة العلاوية ، لأنها شككت في عقيدة شيخها ، ونبهت إلى خطورة مما تروجه هذه الطريقة من مبادئ الباطنية ، إلى درجة اضطر معها أحد مريدي الطريقة إلى تأليف كتاب جمع فيه الشهادات من العلماء والقضاة والمفتين والنواب والأعيان بصحة إسلام الشيخ أحمد بن عليوة ،وسلامة عقيدته[349].

تجدر الإشارة ، إلى كون مجلة الشهاب كرست أعمدتها لكتاب سلفيين لانتقاد الطرقيين وطقوسهم وممارستهم البدعية ، واتهام الطرقيين بتدنيس الدين وتشويه المعتقدات الحقيقية للدين الإسلامي ، واعتبار

([69]) ــ أنظر محمد بن بشير الجريدي : الشهائد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي ، الجزائر ، 1925.

([70]) ــ مجلة الشهاب ، العدد 71 ، 27 نونبر 1926 ، ص 11.

([71]) ــ مجلة الشهاب ، العدد نفسه ، ص 12. في السياق ذاته ضاقت الطريقة العلاوية درعا من الانتقادات التي كان يوجهها لها أحد السلفيين الذي يوقع مقالاته باسم مستعار ، حيث طالبت الطريقة العلاوية الشهاب بالكشف عن اسمه في رسالة وجهتها للمجلة عبر محاميها :" من الشيوخ العارفين المسلكين

برج بوعريريج 30 نونبر

إلى السيد صاحب الجريدة العربية (الشهاب) بقسنطينة أيها السيد الذي أعلمكم به هو أنه بعد مرور مقالتين في جريدتكم أخيرا موقعة إحداهما باسم (بيضاوي) والثانية (بطلبة الجزائر) كلفنا الشيخ ابن عليوة رئيس الزاوية العليوية بمستغانم حسب رسالته المؤرخة في 26 الجاري [نونبر] أن أطالب ربهما أو أربابهما . زمن واجبي أن أعرفكم أن هاتين المقالتين المتضمنتين للإساءة حقيقة إن لم نقل للسب ماستان بكيفية حقيقية سمعة الطريقة العليوية ، ومستوجبتان إذن جريان التبعة القانية عليهما . فلذلك ظهر لي من الواجب أن أطلب منكم إنذارا لكم في منفعتكم إن كنتم تجبون أن لا تجري عليكم هاته التبعة المنصوص عليها في قانون 69 يوليوز 1881 أن تعرفونا بألقاب وأسماء وعناوين كاتب أو كتاب هاتين المقالتين ، وإنني منتظر جوابكم في هذه الثمانية الأيام وإن انقضى هذا الأجل و لم يأتيني منكم شيء فإني أضطر إلى السعي وراء النازلة.

الطرقية تجسيدا للتخلف الديني وسيادة للتقليد والجمود ،وسخرت بعض مقالات الشهاب من ادعاء شيخ الطريقة العلاوية، باعتباره " مجدد دين الأمة الإسلامية بنص الحديث وهو " أن الله يبعث لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها "[350] ،لتخلص الشهاب إلى القول " إن منهاج العلوي هو منهاج كافة الطرقيين وزادوا عليهم بالخلوات والمشاهدات واتخاذ الزي المخصوص وجعل السبح الغليظة في الأعناق والزيارة المالية وهي الداهية الكبرى "[351]

يمكن رصد سياقات صدور جريدة "البلاغ الجزائري " من زاويتين:

1 ـ السياق الدولي العام: تميز بالسيطرة شبه الكلية للاستعمار الأوربي على العالمين الإسلامي والعربي ، وإلغاء الخلافة الإسلامية من قبل أتاتورك وإعلانه قيام دولة تركية مدنية علمانية ، ومن ثم إجهاض مشروع الجامعة الإسلامية التي كانت تدعو إليها السلفية النهضوية .

2 ـ السياق المحلي: تميز بارتقاء السلفية الجزائرية من الطابع التنويري التربوي والتعليمي، بخصوص إصلاح العقيدة وتجديد نظرة الناس إلى الدين ، إلى الممارسة الفعلية للتأثير في مجريات الوقائع ، أي ربط المبادئ الموجهة للاتجاه السلفي بالوقائع التاريخية والتقلبات السياسية التي فرضت على أقطاب السلفية الدخول في معترك التغيير والبناء السياسي . وبالتالي أضحت السلفية الجزائرية، بهذا المعنى، خطابا وطنيا يقاوم الاستعمار ومخططاته الاستنزافية من جهة ، ويقاوم تدهور الأحوال الداخلية من جهة أخرى . وبذلك تكون السلفية الجزائرية قد ربطت الدين بالسياسة ، وجعلت مطاردة البدعة في الدين مرتبطة بمطاردة نفوذ المستعمرين وتوهين أركان بنيانهم والقضاء على عملائهم "[352]، والعمل على تقويض نفوذ الطرقية و الحد من اتساع نفوذها داخل المجتمع ، مما يعني توسيع القاعدة الاجتماعية للسلفية لتكون هذه الأخيرة بديلا للطرقية ، ومدخلا لمواجهة الاحتلال.

تأسست إذن، جريدة " البلاغ الجزائري " في مناخ من التجاذب والصراع بين الطرقيين والسلفيين، والذي لم يكن في جوهره دينيا وإنما كان صراعا سياسيا ، ذلك أن الحركة السلفية كانت ترى في إقصاء الطرق الصوفية وتهميش أدوارها مدخلا استراتيجيا للعمل السياسي، بين ما اعتبرت الزوايا

---

(352) – أحمد حمياني : صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس ، مرجع سابق ، ص 49 ــ 50

أن الحفاظ على إرثها التنظيمي؛ وتجدرها الاجتماعي وقدرتها في صنع الوقائع والأحداث؛ يتم عبر الولوج إلى العمل السياسي من من زاوية الحقل الديني .

لهذا، اتخذ الصراع بين القوتين شكل منافسة متعددة المستويات؛ تنظيمية وفكرية واجتماعية، ، وأفرز ردود فعل قوية وعنيفة وصلت إلى حد التصفية الجسدية، كمحاولة اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس. والذي وجدت الصحافة نفسها منخرطة فيه ، حيث خصصت جريدة البلاغ الجزائري ومجلة " الشهاب" أعمدتها " للتراشق الإعلامي " بين الطرقية والسلفية